البُعد السياسي للخطاب الحجاجي في شعر الجواهري
(دراسة تحليلية)

عبير عبدالوهاب احمد
قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية،
جامعة كرميان، إقليم كوردستان– العراق
abeerabdwhab@gmail.com

أ.د. صاحب رشيد موسى
قسم اللغة العربية، كلية التربية الأساسية،
جامعة كرميان، إقليم كوردستان – العراق
Sahb.rashed@garmian.edu.krd

الكلمات المفتاحية: الجواهري، الشعر السياسي، التأثير والإقناع، النضال الشعري.

كيفية اقتباس البحث
احمد، عبير عبدالوهاب ، صاحب رشيد موسى، البُعد السياسي للخطاب الحجاجي في شعر الجواهري (دراسة تحليلية)،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، نيسان ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Political Dimension of Argumentative Discourse in Al-Jawahiri's Poetry: An Analytical Study

Abeer abdulwahab ahmed
Department of Arabic Language,
College of Basic Education,
University of Garmian ,
Kurdistan Region – Iraq

Sahb rashed musa
Department of Arabic Language,
College of Basic Education,
University of Garmian ,
Kurdistan Region – Iraq

Keywords : Al-Jawahiri, political poetry, influence and persuasion, poetic struggle

How To Cite This Article
ahmed, Abeer abdulwahab , Sahb rashed musa, The Political Dimension of Argumentative Discourse in Al-Jawahiri's Poetry: An Analytical Study ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, april 2026,Volume:16,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The argumentative dimension in the political discourse of Muhammad Mahdi Al-Jawahiri constitutes one of the core foundations that distinguish his poetic experience. His poetry transcends aesthetic expression to fulfill a persuasive function, aiming to influence the audience and guide collective consciousness toward the concerns and crises of the nation.

Al-Jawahiri's political discourse emerges from a critical vision of the socio-political reality. Through this vision, he employs argumentative mechanisms as tools to present issues, refute opposing stances, and construct intellectual and ideological legitimacy in opposition to tyranny, repression, and corruption. Argumentation in his poetry is manifested through various rhetorical strategies such as antithesis, repetition, rhetorical interrogation, and the invocation of historical and religious

symbols—techniques that confer an epistemic depth to his discourse and enhance its credibility in the eyes of the audience.

The political discourse in Al-Jawahiri's poetry is characterized by multiple functional features, most notably: inciting awareness and resistance, exposing the contradictions between official rhetoric and political practice, and advocating for the values of freedom, justice, and human dignity. His argumentative strategy relies on three fundamental components: the establishment of ethos through his position as a committed poet and organic intellectual; the stimulation of pathos via emotive language and rhetorical imagery; and the appeal to logos through the citation of historical events and factual evidence.

Thus, the argumentative discourse in Al-Jawahiri's poetry is not merely an expression of protest, but rather a poetic and intellectual project that seeks to interrogate reality and deconstruct authoritarian structures. This renders his poetry a literary document imbued with political consciousness and a critique of power articulated from the position of the resistant intellectual.

الملخص:

يمثل البعد الحجاجي في الخطاب السياسي عند محمد مهدي الجواهري أحد المرتكزات الجوهرية التي تميز تجربته الشعرية، إذ تتجاوز قصائده الجانب الجمالي إلى أداء وظيفة إقناعية، تهدف إلى التأثير في المتلقي، وتوجيه الوعي الجماعي نحو قضايا الأمة ومشكلاتها.

ينطلق الجواهري في خطابه السياسي من رؤية نقدية للواقع الاجتماعي والسياسي، يوظف من خلالها آليات الحجاج بوصفها وسيلة لعرض القضايا، وتفنيد المواقف، وبناء مشروعية فكرية وموقفية ضد الاستبداد والقمع والفساد. ويتجلى الحجاج في شعره من خلال اعتماد أساليب متنوعة كالتضاد، والتكرار، والاستفهام الإنكاري، إضافة إلى استحضار الرموز التاريخية والدينية، مما يمنح خطابه بعدًا تأصيليًا يعزز صدقيته لدى المتلقي.

يتسم الخطاب السياسي عند الجواهري بخصائص وظيفية متعددة، من أبرزها: التحريض على الوعي والمقاومة، فضح التناقض بين الخطاب الرسمي والممارسة السياسية، والانتصار لقيم الحرية والعدالة والكرامة. ويستند حجاجه إلى ثلاثة مكونات أساسية: بناء المصداقية من خلال موقعه كشاعر ملتزم ومثقف عضوي؛ وتحريك العاطفة عبر اللغة الانفعالية والصور البلاغية؛ ثم الاستناد إلى المنطق والحجج العقلية عبر الاستشهاد بالوقائع والتاريخ.

إن الخطاب الحجاجي في شعر الجواهري ليس مجرد موقف احتجاجي، بل هو مشروع شعري/فكري يسعى إلى مساءلة الواقع وتفكيك البنى السلطوية، وهو ما يجعل شعره وثيقة أدبية ناطقة بالوعي السياسي وناقدة للسلطة من موقع المثقف المقاوم.

مقدمة:

يُعتبر الشعر العربي المعاصر، في أكثر تجلياته وسيلة للتعبير عن المواقف السياسية والاجتماعية والفكرية، فيتجاوز حدود الجماليات اللفظية الى مجال التأثير والاقناع، فيصبح خطاباً حجاجياً يحمل هموم الأمة ، ويواجه أنظمة القمع والاستبداد. ومن بين أعلام هذا الاتجاه، يبرز الشاعر محمد مهدي الجواهري بوصفه صوتاً جهورياً للوعي والاحتجاج، وضميراً شعرياً للسياسة والحرية.

لقد ارتبطت تجربة الجواهري الشعرية ارتباطاً وثيقاً بالقضايا السياسية الكبرى في العراق والعالم العربي، واتسمت قصائده بنفس حجاجي واضح، يسعى من خلاله الى تفنيد الظلم ودحض الاستبداد، وتثبيت مواقف مبدئية عبر حجة عقلية واخرى وجدانية. وهذا مايجعل شعره مادة خصبة لتحليل البعد السياسي للخطاب الحجاجي فيه في ضوء المناهج الحديثة، خصوصاً المنظور التداولي الذي يُعني بالفعل التواصلي وسياق القول ومقاصده الاقناعية.

ومن هذا المنطق، تسعى هذه الدراسة الى تحليل الخطاب الحجاجي في شعر الجواهري بوصفه خطاباً سياسياً ذا وظيفة احتجاجية يكشف عن رؤيته للمجتمع والسلطة والعدالة، كما تركز على أبرز الاليات الحجاجية التي عقدها الشاعر – مثل التكرار،والمقارنة، والاستفهام، والسخرية والتضمين – لتقوية موقفه واقناع متلقيه.

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن الخطاب الشعري عند الجواهري ليس فناً جمالياً فحسب، بل هو موقف سياسي واع، تُبنى فيه الحجة عبر اللغة و السياق والتاريخ.

التّمهِيد

وقد استُغلت السياسة في جانب الشعر فسمي بالشعر السياسي وهو "الذي يتناول قضايا سياسية دفاعاً عن قبيلة أو حزب أو دولة أو محاربة الاستعمار، أو نشر مبدأ من مبادئ السياسة الحرية، الديمقراطية"[١]. والشعر السياسي أيضاً هو "ما ينظم في شأن من شؤون السياسة كأن يدعو فيه الشاعر إلى قبيلة أو حزب أو دولة أو مبدأ سياسي، مثل مبدأ الشورى أو الديمقراطية، ومن تختلف دواعي نظمه فقد تكون المنفعة أو النهضة أو المبدأ"[٢].

والنظم في الشعر السياسي اختلفت من شاعر إلى شاعر، فمنهم من يكتب بدافع المنفعة، ومنهم من دفعه المبدأ أو تبني فكرة "وتلزم الإشارة إلى مسألة لها أهمية بالغة وهي حالة النفسية التي تلم بالشاعر حينما ينظم القصيدة"[٣] ، "لأن الحدث السياسي يجب أن يفسر في إطار تأثيره النفسي في الشاعر"[٤]. فالسياسة هي"تكوين حيّز من الخبرة الخاصة يتم فيه تعيين بعض الأهداف المشتركة ويُنظر فيه إلى بعض الأشخاص على أنهم قادرون على تحديد هذه الأهداف وسوق الحجاج بشأنها"[٥].

والعصر الذي عاش فيه الجواهري هو عصر السياسة بامتياز، فلا أحد يستطيع أن يهرب منها، فالإمبراطورية العثمانية تتفوض، والاستعمار الأوروبي يتقدم، فأول خسارة للجواهري فقدان الأب الذي عاد من معركة الكوت الثانية منهكاً ليموت في اليوم التالي، وبعد حصار النجف وثورة العشرين أصبح الجواهري شاعراً وسياسياً معاً، وظلت هاتان الصفتان تلازمانه حتى اللحظات الأخيرة من حياتهِ. فلدى الجواهري ما يُريد أن يقوله في السياسة، وقد قاله مرات كثيرة وبصوت عال، وغالباً ما كان ثمن هذا القول: إغلاق الصحيفة، السجن، الغرامة وكان هناك أيضاً المنفى. فالجواهري كان صوتاً سياسياً صريحاً وثائراً بالفطرة، وأرتبطت حياته ارتباطاً وثيقاً بالقضايا الوطنية والقومية، فهو تأثر منذ صغره بالحياة السياسية التي كانت تحج بها النجف، مركز الحراك الفكري والديني في العراق، وقرأ الأدباء والمفكرين الأحرار وبدأت تظهر ميوله الوطنية مبكراً. واستخدم شعره لتغذية الوعي الشعبي بالرفض والمقاومة.

فيقول الجواهري: "دخلتُ السياسة – إن صحت هذه التسمية – من أبواب أخرى، من باب حب المشاركة للناس، ولو كنتُ مخلوقاً لغير هذا المفهوم من السياسة، أي أن أكون لبنة في عمارة الحاكمين لعرفت طريقي إليها، بيد إني مخلوق لأكون هذا الذي أنا عليه الآن" (٦) .

وأبرز تجليات الوظيفة السياسية في شعر الجوهري:

رفض الاستبداد والدكتاتورية:

رفض الاستبداد والدكتاتورية هو أحد المحاور الأساسية في شعر الجواهري، وقد شكّل جوهراً من خطابه الشعري والوطني، حيث استخدم شعره كسلاح فكري في وجه الظلم الطغيان، فالجواهري لم يكن مجرد شاعر، بل هو صوت معارض وضمير حي في وجه الأنظمة الدكتاتورية، والذي كان يقوده للغضب في شعره هي التجارب التي عاشها في ظل الأنظمة القمعية، فرفض الجواهري الاستبداد لم يكن شعاراً، بل هو موقف دائم عبّر عنه شعرياً بأساليب متعددة: الهجوم، التساؤل، الأمر، المفارقة وأيضاً من خلال تمجيد الأحرار، وجعل من قصيدته منيراً للحرية ومرآة تعكس بشاعة القمع، وجواهري مؤمن بأن الكلمة الصادقة أقوى من الرصاص، فيتحدث الجوهري عن بداية رفضه للإستبداد: "أول معركة شعرية لم تكن نابعة عن لهو، بل عن جد، ففي عام ١٩٢٩ كادت أن تفتح أول مدرسة للبنات في مدينتي النجف. وكان ذلك بمثابة انقلاب اجتماعي. وقف عدد من العلماء الدين ضد افتتاحها، فوجدت نفسي وكأنني المسؤول الأول في العراق لمهاجمة هذه الطلائع الرهيبة التي لا يجرؤ أحد أن يمسها"(٧).

ففي قصيدة (ماتشاؤون)، الجواهري يُخاطب المستبدين من حكام بلده، فيقول(٨):

مـــا تشـــاؤون فاصـــنعوا ... فرصـــــه لا تضـــــيع
فرصـــــه أن تحكمـــــوا ... وتحطـــــوا وترفعـــــوا
وتـــدلو علـــى الرقـــاب ... وتعطـــوا أو تمنعـــوا
ماتشـــاؤون فاصـــنعوا ... الجمـــاهير هّطـّــع
مـــا الـــذي يســـتطيعه ... مستضـــادون جـــوع؟

تحتوي هذه الأبيات على رفض واضح للاستبداد، والشاعر يستخدم هذه الأبيات لأداء وظيفة سياسية واضحة ويستخدم فيها الخطاب الحجاجي بأسلوب قوي وبارز. فالجواهري يصف حالة السلطه المطلقة بعبارات تظهر قدرتهم على التصرف الكامل، (ماتشاؤون فاصنعوا): تدل على إطلاق اليد في الحكم بدون قيد.

-(فرصة لا تضيع): توحي باغتنام السلطة واستغلالها.

-(أن تحكموا، وتحطوا، وترفعوا، وتدلو على الرقاب): كلها إشارات الى التحكم في مصائر الناس.

-(وتعطوا أو تمنعوا): يبين أن الحاكم يمنح أو يمنع على هواه.

-(ماتشؤون فاصنعوا): تكرر هنا كتأكيد على أن الحاكم بفعل مايشاء دون رقيب (وهذا تصوير ساخر للدكتاتوريه).

-(الجماهير هُطّع): كلمة (هُطع)، تعني المنكسرين أو الجائعين الراكضين خلف الطعام، وهي إشارة الى شعب خانع تحت ضغط الحاجة.

-(ماالذي يستطيعهُ، مستضامون جُوّع؟): هذا السؤال حجاجي بلاغي، يُظهر عجز الجماهير عن المواجهة، مما يعكس قبح الواقع السياسي والاجتماعي.

كل هذا يعري وجه الاستبداد، ويكشف فظاعته، وإن بدا في الظاهر وكأنه وصف محايد، لكن في سياق الجواهري المعروف بمواقفه يُفهم أن هذه الأبيات ليست مديحاً، بل نقداً مريراً مبطناً بالسخرية. والجواهري في هذه الأبيات يستخدم عدة أدوات حجاجية:

١- الوصف الحجاجي: يصف واقع الحكم المطلق دون أن يُصرّح بالرفض المباشر، لكنه يترك للقارئ أن يستنتج بشاعة هذا الواقع.

٢- حجة التهويل: استخدم أفعال بصيغة الجمع (تحكموا، تحطوا، ترفعوا...) يوحي بأن السلطة تشمل كل شيء. والتضخيم هنا بهدف الى كشف فداحة الاستبداد.

٣- المفارقة الحجاجية: ظاهر الأبيات فيه منحى تقريري (افعلوا ماتريدون) لكن الباطن فيه إدانة لمن يغتنمون السلطة ليبطشوا. فالسلطة تملك كل شيء بينما الشعب لا يملك حتى القدرة على الاعتراض. وهذا التباين يؤدي وظيفة حجاجية تدين السلطة.

٤- وصف الواقع القاسي: (الجماهير هُطّع) وصف الجماهير بهذا الشكل هو نوع من الحجة الواقعية، حيث يعرض الشاعر الواقع كما هو، ليُحرّك الوعي لدى القارئ. وهذه الصوره تُحمّل الحاكم مسؤولية تجويع الجماهير.

٥- السؤال البلاغي: (ما الذي يستطيعه مستضامون جُوّع؟) هذا السؤال لا ينتظر اجابة، بل يحمل الجواب في ذاته، ويستخدمه الشاعر ليُبرز الظلم والعجز الشعبي نتيجة الجوع والقهر.

وأيضاً كلمات (مستضامون) و(جُوّع) تمس المشاعر، وتُثير التعاطف والغضب، وهي من أساليب الحجاج العاطفي، وأيضاً الجواهري يستخدم الإيقاع المتكرر في (وتُحِطوا وترفعوا

وتُدلوا..)، وهذا التكرار يُعزز الإحساس بالضغط والقهر، ويستخدمه وجواهري وسيلة حجاجية لإثارة القارئ وتحفيز مشاعره.

فالجواهري في هذه الأبيات يُدين استغلال السلطة ونتائجها الكارثي على الشعب من خلال حجاج بلاغية وعاطفية. ويستخدم خطاباً حجاجياً مشحوناً بالمفارقات، ووصفاً واقعياً يقود الإدانة. فهو لا يعارض فقط الحكم المطلق، بل يكشف تفاهته وقسوته من خلال رسمه بهذا الشكل القبح.

التضامن مع قضايا الأمة:

كان محمد مهدي الجواهري شاعراً ملتزماً بقضايا الأمة، فجعل من شعره وسيلة للتعبير عن الآم الشعوب وطموحاتها. وتضامن مع المظلومين، ووقف الى جانب المقهورين، وهكذا ادّى الجواهري وظيفة سياسةِ واضحة في شعره، جعلته صوتاً للأمة ومرآةً لمعاناتها. والجواهري لم يكتفي عن تجسيد الواقع فقط، بل حث على الثورة والانتفاظة وقلب الطاولة على الاستعمار الغربي. وقد انشد الجواهري عدة قصائد عن العراق، فتضامن الجوهري مع بلده كان واضحاً في العديد من مواقفه وقصائده، التي عبرّت عن الآم العراقيين. والجواهري لم يكن شاعراً فقط، بل كان أيضاً ناشطاً سياسياً، وقد دفع ثمن مواقفه الوطنية أكثر من مرة، حيث تعرض للنفي والسجن، وكتب عن المآسي التي أصابت العراق سواء كانت حروباً أو مجاعات، أو قمعاً سياسياً، كان يحزن لألم العراقيين ويجعل من قصائده مأتماً شعرياً للبكاء على وطنه. " وكان الجواهري في شعره رجل الثورة الذي التزم قضية الشعب الفلسطيني والوطن العربي، وانتصب مناضلاً في سبيلها، يهاجم المسؤولين في صراحة جريئة عنيفة ويعج في قبض شاعريته عجيج الأمواج الصاخبة، وكأني به صوت القضاء الذي تتردد أصداؤه في موجات كلامية موسيقية حافلة بالروعة والصولة" [٩] .

وكان الجواهري من أوائل الشعراء الذين تبنوا فكرة القومية العربية، واعتبر أن وحدة العرب هي سبيلهم للكرامة والحرية، وهاجم الطائفية والانقسام، لأنهما يؤديان إلى ضعف الأمة وضياع قضاياها الكبرى. والجواهري لم يتضامن فقط مع الشعوب العربية سياسياً، بل أظهر تعاطفاً إنسانياً كبيراً في قضايا الجوع والفقر والترشيد، سواء في العراق أو خارجه.

في شعر الجواهري لا يكون التضامن مجرد تعاطف عابر، بل يتحول إلى موقف نقدي أو ثوري، وحين يتخذ الشاعر هذا الموقف يستخدم التضامن كدليل على وعيه. والتضامن يُستخدم كوسيلة لإقناع القارئ أو الجمهور بأن القضية التي يكتب عنها الشاعر جديرة بالاهتمام. فالتضامن مع قضايا الأمة في شعر الجواهري ليس مجرد تعاطف شعوري، بل هو "حجة شعرية" وأداة لإقناع

المتلقي بالعدالة القضية التي يتناولها، ويستخدم هذا التضامن لتبرير الثورة، الحزن، الغضب، مما يمنح القصيدة عمقاً فكرياً ووجداناً مشتركاً بين الشاعر وجمهوره.

وفي قصيدتهِ (ثورة العراق)، يوجد تضامن مع الوطن، حيث يقول [١٠]:

إن كـــان طـــال الأمـــدُ	**فبعـــد ذا اليـــومِ غـــدُ**
مـــا آن أن تجلـــو القـــذى	**عنهـــا العُيـــون الرَّمـــد**
أســـــيافُكم مرهفـــــة	**وعـــــزمُكم متقـــــد**
هبـــوا كفـــتكم عبـــرة	**أخبـــار مـــن قـــد رقـــدوا**
هبـــوا فعـــن عرينـــه	**كيـــف ينـــام الأســـد**

تعُد هذه الأبيات نموذجاً رائعاً لاستخدام التظامن مع الوطن، فالجواهري يبدأ بتساؤلٍ بلاغي فيه لوم تحفيز: لقد طال الانتظار، ألم يحن الوقت لتُفتح عيون الأمة (الرمد) على حقيقتها. (فالعيون الرمد) ترمز إلى الشعب المغيب أو الغافل، الذي يحتاج إلى صحوة.

وقوله: أسيافكم مُرهفة ..... وعزمكم متقيد!

هنا يتعجب الشاعر كيف أن لدى الناس القوة الكامنة (الأسياف)، ولكن إرادتهم مُقيدة، أي إنهم يملكون القدرة لكنهم لا يستخدمونها. وهذا تناقض بين القدرة الفعلية والواقع السلبي. وقوله:

هبّـــوا كفـــتكم عبـــرةٌ	**أخبـــارُ مـــن قـــد رقـــدوا**
هبّـــوا فعـــن عرينـــه	**كيـــف ينـــام الأســـد؟**

هنا يتحول التضامن إلى دعوة مباشرة للتحرك والعمل. (كفتكم عبرة) = التاريخ مليء بالدروس، ويكفيكم ما مرّ. " كيف ينام الأسد عن عرينه؟ " = تشبيه الشعب بالأسد، وأن نومه عن قضاياه، عار لا يليق شجاعته.

ويظهر التضامن مع الوطن من خلال:

١- في شعوره بالغضب والخيبه: فالجواهري في هذه الأبيات لا يتحدث عن نفسه، بل يتحدث بلسان الوطن وبمشاعر الأمة. وهذا ليس حزناً شخصياً، بل حزن نابع من الهمّ الجمعي.

٢- في تحريضه على اليقضة والكرامة: هو لايكتفي بوصف الحال، بل يستنفر الطاقات.

Journal Of Babylon Center For Humanities Studies 2026 Volume :16 Issue : 4
(ISSN): 2227-2895 (Print) (E-ISSN):2313-0059 (Online)

٣- في تحميل الشعب مسؤولية وطنه: التضامن هنا ليس فقط عاطفة، بل إلتزام أخلاقي. فإذا كان الجواهري غاضباً متألماً، فذلك لأنه يتضامن مع وطنه الجريح، ويريد من الناس أن يفعلوا الشيء نفسه.

واستخدم التضامن في هذه الأبيات كحجه شعرية:

* الأسلوب الجدلي والتحريضي: فيستخدم أسئلة (ما آن؟، كيف ينام الأسد؟) ليوجه اللوم ويحث على العمل، أي أنه يُقيم حجته على أساس المنطق والمفارقة.

* الرموز والصور القوية: استخدم الجواهري صوراً مثل:

العيون الرمد --- رمز الغفلة

الأسياف المرهفة --- رمز القوة

الأسد --- رمز الكرامة

كل هذه الرموز تدعم حجته بأن الشعب قادر لكنه ساكن.

* الدعوة إلى النهوض: التضامن مع الوطن هنا هو مبرر للغضب والدعوة للثورة، أي أن حبه لوطنه هو الشرعية التي يستند إليها في نقده وتحريضه.

فالجواهري في هذه الأبيات يُعبرّ عن تضامنٍ وطني صادق، ليس بالعاطفة وحدها، بل عبر بناء حُجة شعرية متكاملة:

- الماضي يُعطي العبر.
- الحاضر يستحق الصحوة.
- الشعب قادر.
- إذاً، لا مبرر للنوم أو الإستسلام.

وهكذا يتحول التظامن مع الوطن من مجرد تعاطف، إلى دافع منطقي وشعري يدعو للعمل والتغيير.

والجواهري يتضامن مع فلسطين في قصيدته (اليأس المنشود)، حيث يقول[١١]:

رُدُّوا إلى اليأسِ ما لم يَتَّسع طَمَعا ... شَرٌّ من الشرِّ خوفٌ منه ان يقَعا

شَرٌّ من الأمَلِ المكذوبِ بارقُه ... ان تحمِلَ الهمَّ والتأميلَ والهَلَعا

قالوا " غدٌ " فَوَجَدتُ اليومَ يفضُلُه ... و" الصبر" قالوا: وكان الشَهمُ من جَزعاً

ولم اجدْ كمَجالِ الصَبرِ من وَطَنٍ ... يَرتادُه الجُبْنُ مصطافاً ومُرتْبَعَا

هذه الأبيات من شعر الجواهري تُجسد بوضوح تضامنه العميق مع القضية الفلسطينية، وتُعبرّ عن خيبتهِ من التخاذل العربي، فقوله:

رُدُّوا إلى اليأسِ ما لم يَتَّسع طَمَعا شَرٌّ من الشرِّ خوفٌ منه ان يقَعا

هنا يُهاجم الجواهري، الخوف والتردد، ويقول إن أسوأ من المصيبة ذاتها، هو الجبن من احتمال حدوثها. وهذا خطاب واضح موجه إلى العرب والمسلمين تجاه فلسطين، ينتقد فيه التخويف من المواجهة. وقوله:

شرٌ من الأمل المكذوب بارقه إن تحمل الهمّ والتأميل والهلها

هنا يُهاجم الأمل الزائف الذي لا يُرافقه فعل، ويعتبره نوعاً من الهلع العاطفي المخدّر. والتضامن مع فلسطين هنا هو تضامن ناقد، يرفض التمنيات الفارغة ويُطالب بواقعية نضالية. وأيضاً يقول:

قالوا غدٌ، فوجدت اليوم يفضّله والصبر قالوا، وكان الشهم من جزعا

هنا نقد صريح لثقافة التسويف: قالوا غداً، لكن الغد لم يأتِ بشيء، ويُهاجم تبرير (الصبر) بوصفه فضيلة، لأن الصبر في زمن الاحتلال والخذلان يتحول إلى جُبُن.

ولم اجدْ كمَجالِ الصَبرِ من وَطَنٍ يَرتـادُه الجُـبْنُ مصـطافاً ومُرتْبَعَـا

وهذا البيت من أقوى صور التضامن في القصيدة، فالوطن الذي كان يجب أن يكون ميداناً للكرامة، تحول إلى ساحة يتمشى فيها الجُبُن كأنه في نزهة. وهذه صورة مؤلمة وساخرة تعكس عمق تضامن الشاعر مع القضية الفلسطينية من خلال وفضح الواقع العربي.

واستخدم الجواهري هذا التضامن كـ(حجّة شعرية) من خلال:

١- الهجوم على السلبية والجُبُن: فالتضامن لم يكن بالبكاء أو العاطفة بل بـ(نقد التخلي العربي عن فلسطين)، واستخدم الجواهري هذا النقد كحُجة تدعوا إلى الفعل لا الانتظار، وإلى الثورة لا الحياد.

٢- بالمقارنة بين الشعارات والواقع: الناس يقولون غداً، لكن الجواهري يقول(اليوم أفضل)، لأن الانتظار لم يُثمر. فيُقيم حجته بقوله: لا تصدقوا الكلام، انظروا إلى الواقع.

بتحويل المشاعر إلى وعي: فالتضامن ليس مجرّد تألم لفلسطين، بل هو فهمٌ عميق لأسباب النكبة: (الجُبُن، الخوف، الأمل الكاذب). ومن خلال هذه القراءة، يتحول تضامنه إلى خطاب

توعوي يدعو إلى صحوة حقيقية. ففي هذه الأبيات، الجواهري يتضامن مع فلسطين من خلال نقد واقع الأمة، ويجعل من هذا التضامن حُجة عقلية وأخلاقية على الشعوب العربية.

فتضامن الجواهري مع الشعوب لم يكن مجرد تعاطف عابر أو موقف وجداني مؤقت، بل كان موقفاً إنسانياً وثقافياً، وقد ارتبط الجواهري بقضايا الشعوب العربية والإنسانية ارتباطاً عضوياً، وجعل من شعره منبراً للنضال من أجل الحرية، والكرامة والعدالة. سواء أكانت تلك القضايا في العراق، أو فلسطين، أو لبنان، أو مصر أو غيرها من بقاع العالم العربي.

التحريض على الوعي والمقاومة:

التحريض على الوعي والمقامة عند الشاعر محمد مهدي الجواهري، يُعدّ من السمات البارزة في تجربته الشعرية، حيث لعب دوراً رياديا في توظيف الشعر كوسيلة للنهضة والتحرر ومواجهة الظلم السياسي والاجتماعي. والجواهري لم يكن شاعراً تقليدياً يكتفي بوصف الواقع، بل كان صوتاً ناطقاً بالوعي الجماهيري.

فالجواهري كان يرى أن الجهل والرضا بالذل هما من أبرز أسباب بقاء الطغيان، فقام بتصوير الفقر، القمع، في قصائده، وحذّر من ضياع الهوية والانتماء، وقام بتمجيد الإنسان، ورفض النظرة التبخيسية للمواطن في ظل الحكومات المشيدة، فهو لم يكتب فقط للنخب، بل خاطب العامة بلغة تجمع بين الرصانة والبساطة، ليجعلهم شركاء في مشروع التغيير.

وهناك علاقة بين التحريض والحجاج وهي علاقة وظيفية، فالتحريض على الوعي والمقاومة يعتمد على الحجاج لإقناع الجمهور بقضية، والإثارة الغضب أو السخرية، وأيضاً لدفع الناس لاتخاذ موقف، فالحجاج هو الأداة التي يبني بها الشاعر تحريضه، فدون حجّة قوية، لن يتأثر المتلقي ولن يستفيق وعيه.

ففي قصيدة (ثورة النفس)، يقول [١٢]:

سكُت وصدري فيه تغلي مراجلُ	**وبعض سكوتِ المرءِ للمرءِ قاتلُ**
وبعضُ سكوتِ المرءِ عارٌ وهُجْنَةٌ	**يحاسَبُ من جرّاهُما ويُجادَل**
ولا عجبٌ أنْ يُخْرِسَ الوضعُ ناطقاً	**بلى عجبٌ أنْ يُلْهَمَ القولَ قائل**
جزى الله والشعرُ المجوَّدُ نَسْجُهُ	**بأنكد ما تُجْزَى لئامٌ أراذل**

هذه الأبيات تُعبر بعمق عن فلسفة الجواهري في رفض الصمت المذل، فهو يفضح الصمت القاتل في قوله: (وبعض السكوت المرء للمرء قاتل)، هنا يتجاوز الجواهري فكرة إن الصمت فضيلة أو حكمة، ويجعل منه خيانة للذات. وهذا البيت تحريض صريح على إدراك إن السكوت

في مواجهة الظلم يقتل الضمير والإنسان. وقوله (وبعض السكوت المرء عار وهجنة)، هنا يجعل الصمت في بعض المواقف أخلاقياً مرفوضاً، وليس فقط سلبياً، وهذا تحريض على الشجاعة الفكرية، وعلى أن صمت قد يكون عيباً أخلاقيا يُحاسب عليه المرء. وقوله: (ولا عجب أن يُخرس الوضع ناطقاً) هنا الجواهري يعترف بوجود واقع قمعي يخنق الأصوات، لكنه يحوّل هذا الواقع إلى حجة، أي: أن يسكت الناس نتيجة القمع مفهوم، لكن أن يستطيع الإنسان أن يتكلم ثم لا يتكلم، هذا هو العار.

الجواهري استخدم التحريض في هذه الأبيات كحجج مختلفة منها:

١- حُجة أخلاقية: فالصمت ليس خياراً بريئاً، بل مواقف يُحاسب عليه الإنسان. ومن يسكت في مواجهة القهر، يتحمل جزءاً من المسؤولية.

٢- حُجة نفسية أو عاطفية: (تغلي مراجل) هذا تصوير داخلي لحالة القهر المكتوم. فيستشير مشاعر الغضب والكبت لدى القارئ، ليدفعه للتعبير والمقاومة.

٣- حجة إجتماعية: فالجواهري يعرض الواقع الذي يُخرس الأصوات. ولكنه يُفرّق بين من يُجبَر على الصمت ومن يختار الصمت كراحة أو خوف أو نفاق.

فالجواهري في هذه الأبيات يُحرّض على كسر حاجز الصمت، ويقدّم الصمت عن الظلم كعار لا كخيار. ويستخدم الحجاج الأخلاقي والعاطفي لإقناع المتلقي بأن الوعي والمقاومة ليس رفاهية، بل واجب إنساني وأخلاقي. وكل دعوة الى (قول الحقيقة) و(رفض الصمت) و(مواجهة القهر) هي دعوة سياسية لأنها تتحدى النظام القائم.

فلم يكن التحريض عند الجواهري مجرد انفعال، بل موقفاً واعياً، بنى عليه حُججه الأخلاقية والأجتماعية والإنسانية، ليجعل من الشعر أداة للتأثير والتغير، لا للزينة والتزييف.

والوظيفة السياسية في التحريض على الوعي والمقاومة تكمن في أنه يفتح عيون الناس على واقعهم، ويحرّضهم على رفض الظلم، فهو بذلك يتجاوز الشعر بوصفه فناً، ليصبح موقفاً سياسياً وممارسة نضالية.

تخليد الشهداء والمظلومين:

الجواهري لم يكتب عن الموت فقط، بل هو شاعر يُحوّل الموت إلى حياة، ويُحوّل الشهداء إلى منارات تهدي الأحياء٠ في شعره يصبح الشهيد بطلاً خالداً، والمظلوم صوتاً صارخاً في وجه الجلاد. وهذه النزعة جعلت من الشعر الجواهري وثيقة نضال ومقاومة، لا تُنسى. فالجواهري لم يخلّد الشهداء فقط بالرثاء، بل جعلهم رمزاً للثورة والكرامة، وربط الجواهري تخليد الشهداء في قصائده بأدوات حجاجية بارزة، جعلت شعره ليس مجرد رثاء، بل خطاباً حجاجياً بليغاً للدفاع عن

قضايا الحق والعدل والحرية، فهو لم يُخلدّ الشهداء من أجل التأثير العاطفي فقط، بل لجعلهم حُجة دائمة ضد الاستبداد، وأداة خطابية تُقنع الجماهير بأن دم الشهداء هو أساس التغيير، ومشعل الثورة، ورمز الأمة الحية. وعلى سبيل المثال في قصيدة (إليك أخي جعفر) يقول[١٣]:

دبـــت عليـــك زواحـــف الأعـــوام ... وبرئـتَ مـن جُـرح، وجرحـي دامـي
وبرئـتَ مـن هـزة الحيـاة ببعضـها ... وتضـــــاحُك الأيـــــام بالأيـــــام
عشرون!! طالت حيث مرت قبلها ... خمســون وهــي قصــيرة الأرقــام

في هذه الأبيات يظهر خيط من تخليد الشهيد وتكريمه، لكن بأسلوب مختلف عن الرثاء المباشر، الجواهري هنا لا يكتفي بتصوير لحظة الموت أو الفقد، بل يُقارن زمن الشهيد المحدود زمنياً، لكنه العميق والمعمّر بالمعنى، بزمن الآخرين الطويل عديم القيمة. هذا نوع من المقارنة هو حجة شعرية وفكرية ذكية. ففي قوله: (دبّت عليك زواحف الأعوام)، يُشير إلى أن السنين قد مرّت على الشهيد، لكن ببطء وبصورة زاحفة وهي صورة تعكس ثقل الزمن بعد الرحيل. وقوله: (وبرئت من هزة الحياة ببعضها)، يُشير إلى أن الشهيد لم يعيش عمره كاملاً، بل عاش بعضها فقط، لكنه تحرر من هموم الحياة، أي أن حياته القصيرة كانت كافية لتخليده. وقوله: (وتضاحك الأيام بالأيام) هذه استعارة تُوحي بأن الأيام تتشابه بلا جدوى أو معنى خصوصاً بعد غياب ذلك الذي كان يعطيها قيمتها. وعندما يقول: (عشرون طالت حيث مرت قبلها) ربما يُشير إلى عمر الشهيد (٢٠ عاماً مثلاً)، ويقول إنها كانت طويلة بقيمتها وتأثيرها، لابعددها. أي إن هذا السنوات القصيرة كانت أغنى من أعمار طويلة لأناس عاديين. وقوله: (خمسون وهي قصيرة الأرقام) هنا مقارنة مباشرة، خمسون سنة عاشها غيره، ولكنها قصيرة بمعناها، بلا أثر بلا خلود .

وظّف الجواهري هذه الفكرة كحجة من خلال مقارنة الأعمار ليُبين أن عمر الشهيد القصير أعظم من عمر طويل بلا قضية. وأيضاً من خلال انتزاع القيمة من الحياة اليومية وتوجيهها نحو من ضحى لأجل معنى أكبر. ويوجد في هذه الأبيات فلسفة غير مباشرة، فيُحوّل القصيدة من رثاء فردي إلى تأمل في المعنى الزمن وخلود، فهذه الأبيات تُجسد تخليداً غير مباشر للشهيد من خلال قلب المقاييس المألوفة: فالحياة لا تُقاس بعدد السنين، بل بعمقها وتأثيرها. وهذه حجة ضمنية قوية استخدمها الجواهري لترسيخ فكرة أن الشهداء وإن ماتوا صغاراً، فهم الأخلد. فالحجة الشعرية هنا: لا يُقاس الخلود بطول العمر، بل بنوعية الحياة والرسالة .

ففكرة التخليد الشهداء عند الجواهري تُعد من المحاور المركزية في تجربته الشعرية، وهي أكثر من مجرد رثاء لأشخاص فقدهم، بل هي حُجة أخلاقية وفكرية استخدامها لترسيخ قيم كبرى كالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية.

فالبعد السياسي في الخطاب الحاجي لشعر الجواهري يتجلى في كونه خطاب مقاومة واعٍ، يجمع بين الفن والفكر، ويعتمد على الحجة لا الانفعال فقط. فشعرالجواهري ليس مجرد تعبير عن المواقف السياسية، بل يسعى لبناء بلاغي عقلاني هدفه اقناع المتلقي بضرورة التغيير، ورفض القمع، والدفاع عن قيم الحرية والكرامة.

الاستنتاجات:

١- الجواهري في خطابه الشعري لا يهتم بالناحية الجمالية فقط ، بل يحمل بُعداً سياسياً واضحاً، يعكس رؤيته الفكرية ونضاله ضد الظلم والاستبداد، ويُوظف الحجاج كأداة لمواجهة الظلم والاستبداد السياسي.

٢- في شعر الجواهري الحجاج لا يكتفي بالاقناع الفني بل يركزعلى الاقناع الفكري والسياسي، حيث يسعى الشاعر الى تحريك الوعي الجماهيري ويهدف الى تغيير الواقع لا مجرد تصويره.

٣- في شعر الجواهري البنية الحجاجية تعمل للتأثيرعلى العقل والوجدان معاً.

٤- الجواهري يستخدم اللغة كأداة مقاومة سياسية، فهو يتلاعب بها لابراز التناقضات داخل الخطاب الرسمي وكشف الزيف والنفاق السياسي.

٥- الخطاب السياسي في شعره يعكس وعياً تاريخياً وموقفاً مبدئياً من قضايا الحرية والعدالة، مما يجعل شعره مرآة لحالة الأمة وصوتا لضميرها الحي.

٦- وظيفة الشعر عند الجواهري تتجاوز التعبير الذاتي لتصبح رسالة سياسية موجهة الى الجماهير والسلطة على حدّ سواء، وهي رسالة ذات طابع احتجاجي وثوري.

٧- يُظهر شعر الجواهري أن الحجاج ليس مجرد تقنية لغوية، بل موقف فكري وأخلاقي، يعكس انحياز الشاعر للحق، وتبنيه لقضايا أمته بلا مواربة.

الهوامش

[١]- الأجناس الادبية النثرية والشعرية: محفوظ كمال، ١٢٢.

[٢]- تطور الشعر العربي الحديث في العراق: علي عباس علوان،١١٢.

[٣]- بين الفلسفة والأدب: أدهم علي، ٤٨.

[٤]- الأتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: سلمى الخضراء الجيوسي، ١٥.

[٥]- سياسة الأدب: جاك رانسبير، ٧.

[٦]- مذكراتي: الجواهري، ٢٦٦.

[٧]- م. ن: ٢١١

[٨]- ديوان الجواهري: ١٢٥/٤.

[٩]- الجامع في التاريخ الأدب العربي: حنّا فاخوري، ٥٠٨.

[١٠]- ديوان الجواهري: ٩٣/١.

[١١]- ديوان الجواهري: ١٨٩/٣.

[١٢]- ديوان الجواهري: ٢٣١/٢.

[١٣]- ديوان الجواهري: ٢٨٠/٥.

قائمة المصادر والمراجع:

١- الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: عبدالواحد لؤلؤة، بيت النهضة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١.

٢- الأجناس الأدبية النثرية والشعرية: محفوظ كمال، نوميديا للطباعة والنشر، الجزائر، د.ط، ٢٠٠٧.

٣- بين الفلسفة والأدب: أدهم علي، مكتبة دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٥٨.

٤- تطور الشعر العربي الحديث في العراق: علي عباس علوان، منشورات وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية، ١٩٧٥.

٥- الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث): حنّا فاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٦- ديوان الجواهري: جمعه وحققه وأشرفه على طبعه: إبراهيم السامرائي، مهدي المخزومي، علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش، مؤسسة الأندلس للمطبوعات، النجف الأشرف، ط١٤٣٣، هـ – ٢٠١٢م.

٧- سياسة الأدب: جاك رانسبير، تحقيق: سهيل أبوفخر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، سوريا، د.ط، ٢٠١١.

٨- مذكراتي: محمد مهدي الجواهري، دار المجتبى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ٢٠٠٥م.

List of Sources and References

1.Al-Jayyusi, Salma Khadra. *Trends and Movements in Modern Arabic Poetry*. Translated by Abdulwahid Lu'lu'ah, Bayt al-Nahda, Beirut – Lebanon, 1st ed., 2001.

2.Kamel, Mahfouz. *Literary Genres: Prose and Poetry*. Numidia Publishing House, Algeria, n.d., 2007.

3.Ali, Adham. *Between Philosophy and Literature*. Dar al-Ma'arif Library, Egypt, 1st ed., 1958.

4.Alwan, Ali Abbas. *The Development of Modern Arabic Poetry in Iraq*. Publications of the Ministry of Information – Republic of Iraq, 1975.

5.Fakhoury, Hanna. *A Comprehensive History of Arabic Literature (Modern Literature)*. Dar al-Jil, Beirut, 1st ed., 1986.

6.Al-Jawahiri, Muhammad Mahdi. *Diwan al-Jawahiri*. Collected, verified, and supervised by: Ibrahim al-Samarra'i, Mahdi al-Makhzoumi, Ali Jawad al-Tahir, and Rashid Baktash. Al-Andalus Publishing House, Al-Najaf al-Ashraf, 1433 AH – 2012 CE.

7.Rancière, Jacques. *The Politics of Literature*. Edited and translated by: Suhail Abu Fakhr. Publications of the Syrian General Authority for Books, Syria, n.d., 2011.

8.Al-Jawahiri, Muhammad Mahdi. *My Memoirs*. Al-Mujtaba Publishing and Distribution House, 1st ed., 1384 AH – 2005 CE.